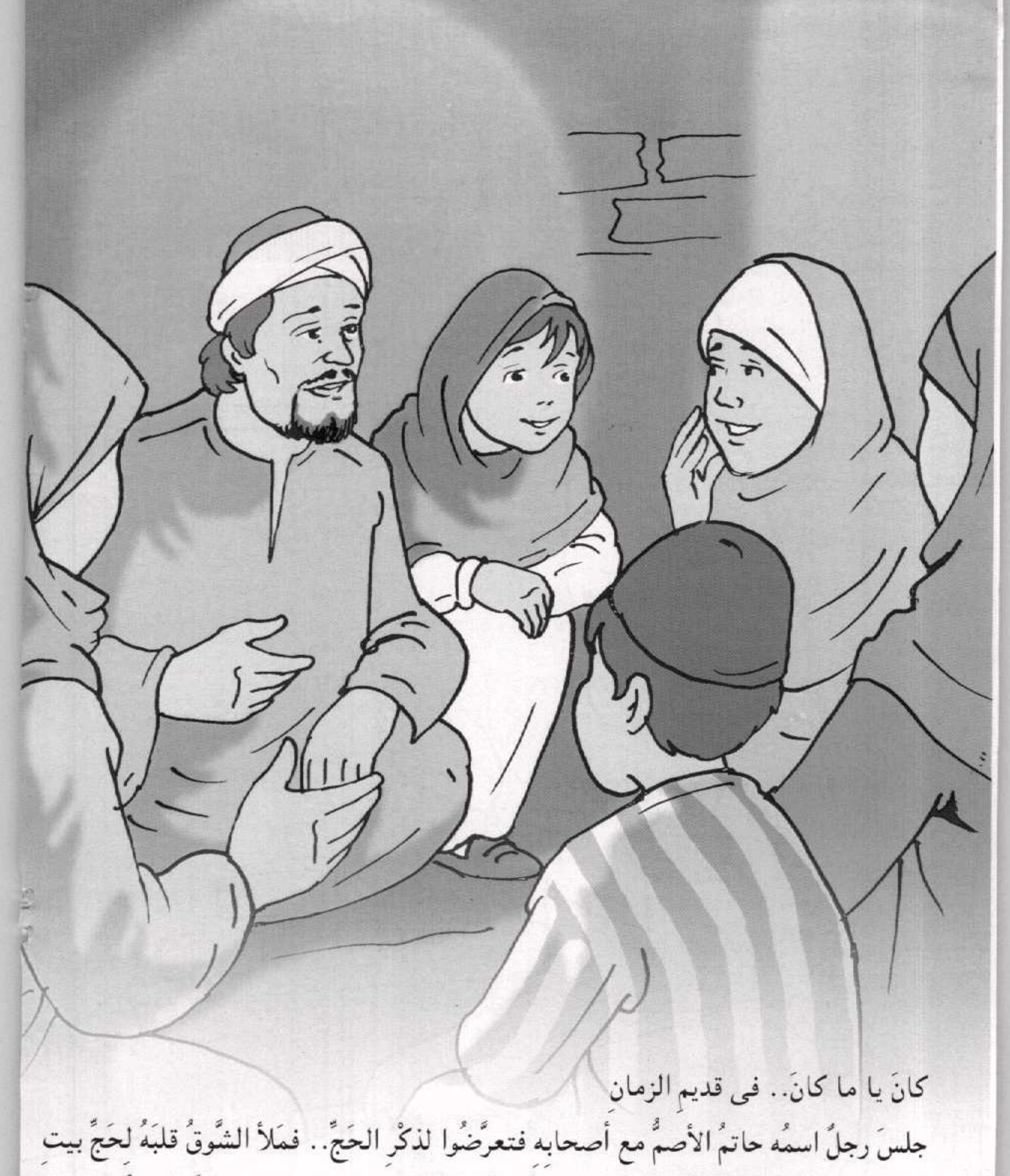

غرائب القصص والحكايات (١٥)
موكب الأمير
تأليف
محمد القاضى
رسوم : ياسر سقراط
إخراج فني : ألوان
رقم الإيداع : ١٩٩٨٥/٢٠٠٤
مؤسسة
اقرأ
للنشر والتوزيع والترجمة



كانَ يا ما كانَ.. فى قديمِ الزمانِ

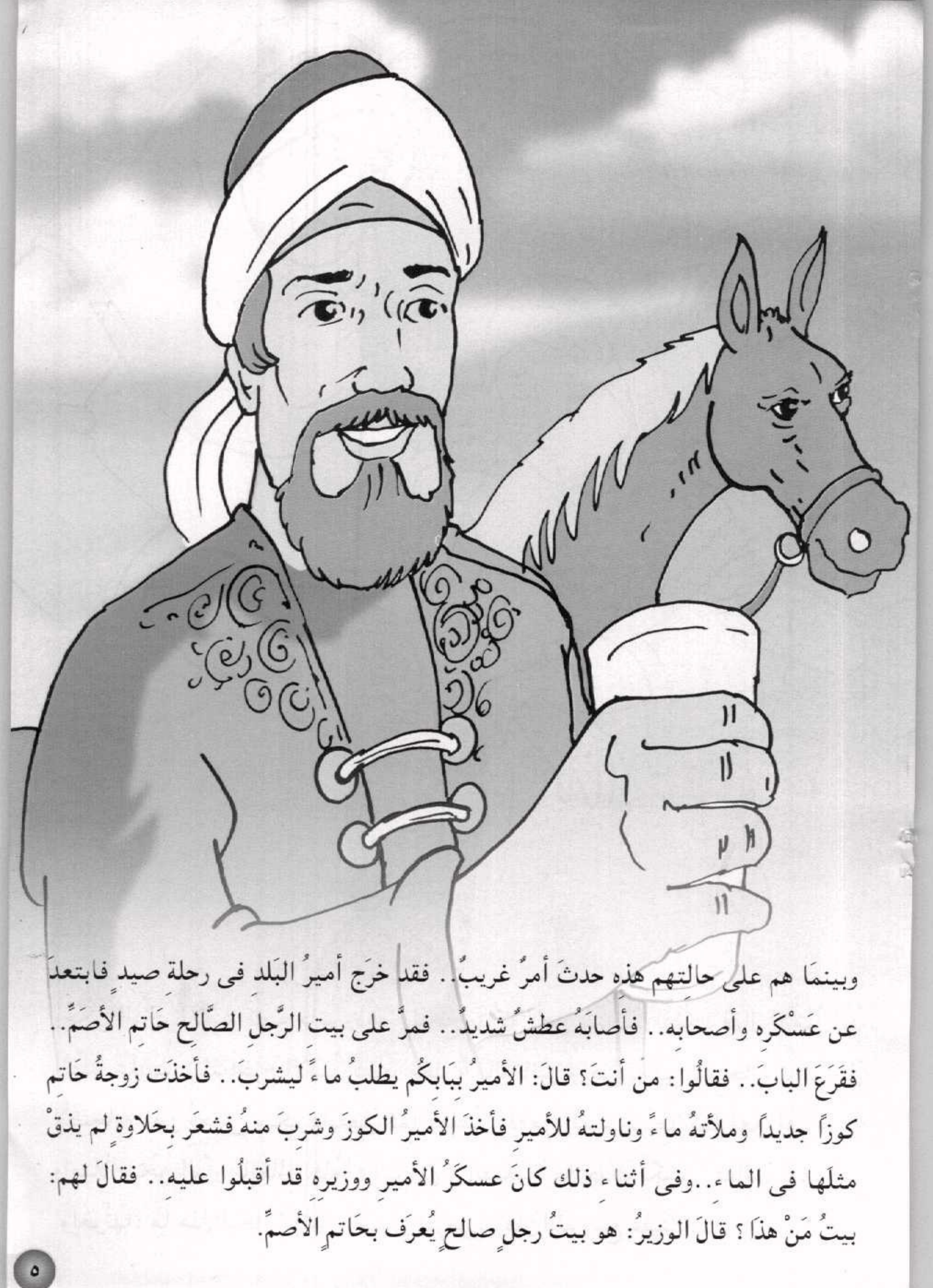
جلسَ رجلٌ اسمُه حاتمُ الأصمُّ مع أصحابِه فتعرَّضُوا لذكْرِ الحَجِّ.. فمَلأ الشَّوقُ قلبَهُ لِحَجِّ بيتِ اللَّه الحرامِ.. وكانَ حاتمُ رجلاً فقيراً وله أولادٌ كثيرونَ.. فدخَل عَليهم وتحدَّث معهُم بعضَ الوَقتِ ثمَّ قالَ لهُم: لو أذِنْتُم لِى أنْ أذهَبَ هذَا العام للحجِ وأدعُو اللّهَ لكُم.. فرفَضَتْ زوجتُه وأولادُه لشدةِ ما بهِم مِن فقرٍ ولحاجتِهِم إليه..



وكانَ لحاتِم ابنةٌ صغيرةٌ.. فلمَّا رأت الشوقَ يملأ قلبَ أَبِيها لزيارَةِ بيتِ اللّه.. ورأت معارضَةَ أمِّها وإخوتِها له.. قالتْ لهم: دعُوا أبَاكُم يذْهبُ للحَجِ.. فإنه مُنَاوِلٌ للرزقِ وليسَ برزَّاقٍ.. فالرزَّاقُ هو اللّهُ سبحانَهُ.. فتأثَّر الأبنَاءُ جميعًا بكلامِ الصَّغيرَةِ وأذِنُوا لوالدِهم فِي الخرُوجِ للحجِّ.. فَقَام حاتِمٌ فى الحَالِ وجهَّز نفسَه للسَّفَر وخرَجَ مُسَافِراً..



فأصبحَ النَّاسُ من الجيرانِ والأصحابِ يلومُونَ أهلَ بيتِ حاتم لأنَّهُم أذنُوا له فى الحجِّ وهُم علَى هذه الحالة من الفقرِ والحاجة.. وصارَ خبرُ بيتِ حاتم حديثَ الناسِ جميعًا.. فكانَ الأبناءُ يُوبِّخونَ أختَهم الصَّغيرةَ فى كلِّ وقتٍ لأنَّها هى السببُ فى أنْ يأذنُوا لأبيهم بالخروجِ للحجِ.. فرفعت الابنةُ الصغيرةُ يديهَا إلى السَّماءِ وقالت: إلهى وسيِّدى ومولاى عوَّدتَ القومَ بفضلِك وأنك لا تُضيعُهُم فلا تُخيبهُم ولا تُخجِلْنِى معهُم..



وبينمَا هم على حالتِهم هذهِ حدثَ أمرٌ غريبٌ.. فقد خرَجَ أميرُ البَلدِ فى رحلةِ صيدٍ فابتعدَ عن عَسْكَرِه وأصحابِه.. فأصابَهُ عطشٌ شديدٌ.. فمرَّ على بيتِ الرَّجلِ الصَّالحِ حَاتِمِ الأصَمِّ.. فقَرَعَ البابَ.. فقالُوا: من أنتَ؟ قالَ: الأميرُ ببَابكُم يطلبُ ماءً ليشربَ.. فأخذَت زوجةُ حَاتِمٍ كوزاً جديداً وملأتهُ ماءً وناولتهُ للأميرِ فأخذَ الأميرُ الكوزَ وشَربَ منهُ فشعَرَ بحَلاوةٍ لم يذقْ مثلَها فى الماءِ..وفى أثناءِ ذلك كانَ عسكَرُ الأميرِ ووزيرهِ قد أقبلُوا عليهِ.. فقالَ لهم: بيتُ مَنْ هذَا ؟ قالَ الوزيرُ: هو بيتُ رجلٍ صالحٍ يُعرَف بحَاتِمٍ الأصمِّ.



وحكَى الوزيرُ للأمير قصةَ حاتِم وذهَابه للحج وترْكِه لأهلِ بيته بلا نفَقةٍ.. فقال الأميرُ لقد أثقلْنَا علَيهم.. ثم أخرجَ الأميرُ كيساً مملوءاً بالدنَانير ورَمى بهِ فى دارِ حاتِم.. ثم قَالَ لأصحابِه: من يُحبنى منكم فليفعلْ كمَا فعلتُ.. فَفَعلَ القوْم جميعًا كمَا فعلَ أميرُهُم.. وامتلأ صحْنُ الدَّار بالمَالِ..فلمَّا رأتْ الابنةُ الصغيرةُ ما حدَثَ بكَت.. فقالْت لهَا أمُّها وإخوتُها: ما هذا البكاءُ؟ إنما يجبُ أن تفرَحى.. فإنَّ اللّهَ وسَّع علينَا..



فقالت الصغيرةُ: يا أميِّ، بتنَا بالأمسِ جياعًا.. واليومَ نظرَ إلينَا مخلوقٌ نظرةً فأغنَانَا بعد فقرِنَا.. فالكريمُ الخالقُ سبحانَه إذا نظَرَ إلينَا لا يكلُنَا إلى أحدٍ طرفةَ عينٍ.. ثمَّ رفعتْ يديهَا إلى السَّمَاءِ وقالتْ: اللَّهُم انظرْ إلى أبينَا ودَبِّر له أمرَه أحسنَ التدبيرِ.

أمَّا مَا كانَ من أمرِ حاتمٍ.. فإنَّه لمَّا انضمَّ لموكبِ الحجِّ مَرِضَ أميرُ الرَّكْبِ مرضًا شديداً.. فدخلَ عليه حَاتمٌ ليعودَهُ فدعَا له اللّه سبحانَهُ أن يشفِيَهُ فشفَاهُ اللّهُ فى الحَالِ.. فأمرَ له الأميرُ بمَا يركَبُ وما يشرَبُ ومَا يأكُلُ طُوالَ رحلَتِه حتَّى العودَةِ..



فنَامِ حاتمُ تلك الليلَةَ يفكِّرُ فى أمرِ بيته وعيَاله.. فرَأى فى الرُّؤيَا مَن يقولُ له: يا حاتِمُ مَنْ أصلحَ معامَلتَه معنَا أصلحَنا معاملتَنا معهُ.. ثم أُخْبِرَ بما حَدَث لأولاده فأكثرَ الثنَاءَ علَى اللّه سبحَانَهُ.. فلمَّا قضَى حَجَّةُ قابَلَه أولادُه.. فعانَق ابنتَه الصغيرةَ وبَكى ثمَّ قالَ: صغارُ قومٍ كبارُ قومٍ آخرينَ.. إنَّ اللّهَ لا ينظُرُ إلى أكبَرِكُم ولكن ينظُرُ إلى أعْرَفِكم به.. فعليكُم بمعرِفَتِه والاتكالِ عليهِ.. فإنَّهَ منْ توكَّل علَى اللّهِ فهُو حَسْبُه..